

## المبحث الثالث

### تجديد الخطاب الدينى

#### مفهوم الخطاب الدينى:

تتعدد وتتنوع الآراء حول ماهية الخطاب الدينى ، فيذهب البعض إلى أنه اجتهادات علماء الدين فى غير الثوابت التى تتلاءم مع مستجدات كل الواقع والمعرفة التى تصل شفاهة أو مسجلة أو مكتوبة إلى الجمهور فيتلقاها بالسماع أو الكتابة فتكسبه المتعة والقدرة على مواجهة متغيرات العصر وعلى التعامل معها بالكفاءة المطلوبة. وهناك من يعرفه بأنه كل خطاب يدور حوله الإسلام بياناً وعرضاً له ، واستلهاماً أو تشويهاً لحقائقه وتحليلاً أو نقداً لنصوصه أو دعوة إليه أو صدأ عنه وسواء كان ذلك فى المجال الفقهي أم الأدبي وغيرها.

وهناك من يرى أن الخطاب الدينى مجموع الأفكار والتصورات التى يطرحها منتجوا الخطاب الدينى فى أى شكل من أشكال الاتصال من خلال مناهج مستحدثة للتعامل مع النظام العالمى الجديد بقضاياها وتكالياتها وصيغاً جديدة تتواصل مع التراث بشكل أوسع من مفهوم الاجتهاد الذى اعتبره الفقهاء مديلاً أساسياً فى تعامل الشريعة مع المتغيرات الحديثة ، إن الخطاب الدينى من الضرورى فى إطار ذلك : (أ) التعامل مع النظام العالمى الجديد ، بمعنى الانفتاح على المنجزات العلمية التى أتاحها الثورة العلمية والتعرف إلى التصورات الفكرية العالمية ورصد التطور الحضارى الذى تمر به المجتمعات الإنسانية للإفادة من الآخر بوعى ناقد ، وضرورة أن يراعى الخطاب الدينى فى إطار العالمية والأولويات المشتركة للمجتمع والقضايا المثارة كقضايا الأمن والسلام والعلاقات الدولية وغيرها.

(ب) التواصل مع التراث، بما يعنى الاستفادة من خبرات الأجداد فى المجالات الحضارية المختلفة ببيان مناهجهم وإبراز إسهاماتهم فى جوانب العلم والمعرفة وفهم المداخل التى تعاملوا بها مع الكتاب والسنة باعتبارهما مرجعية الأمة ومصادرها الأصلية بل ومصادر الخطاب الدينى، وهذا ينطوى على دعوة إلى التجديد الذى يحقق الأصالة والمعاصرة، ويتطلب معرفة ثوابت الأمة للتعامل مع آفاق الحياة المعاصرة.

والتطورات العلمية الحادثة فى المجتمع المعاصر خاصة التى تتطلب حكماً دينياً بشأنها، تفرض على الداعية التوجه نحو إعادة النظر فى خطابه الدينى وتطويره بما يجعله ملائماً للأحداث الجارية فى المجتمع ومواكباً لها من حيث محتواه وطريقة عرضه، والاهتمام فيه بالمعاصرة إلى جانب الأصالة، حتى يكون الخطاب الدينى مسابراً لوقائع هذا العصر.

### ماهية تجديد الخطاب الدينى:

إن تطوير الخطاب الدينى يعنى مسابرة التشريع فقه الواقع ليحكم النوازل المستجدة والوقائع المعاصرة التى يكشف عنها العلم أو تتمخض عنها أنشطة الحياة بما يوجد لها الحكم الشرعى وفقاً لمصادر الشريعة وأدلتها، إنه يعنى إيجاد الحكم الشرعى الملائم لما يستجد فى حياة الناس من أمور تقتضى هذا الحكم ولم تكن موجودة من قبل، وربما أدى إعماله إلى إعادة النظر فى بعض الأحكام التى تغيرت ظروف إبداء الرأى الفقهي منها.

إنه يعنى عرض الخطاب الدينى تبعاً للتطور المذهل فى علوم الاتصال الحديثة، مع تطوير طرائق عرض الإسلام بما يعود بالتجديد المنشود على كل كلمة يوجهها إلى الناس بحيث يقف من الدين عند جوهره وصفاء مصدره حتى يؤتى ثماره فى تنمية وعى الخطاب وإثراء فكرة وتعميق فهمه، مما يوصل لمنطلق الانتماء والولاء للمعتقد الدينى عبادة وعملاً وسلوكاً ومنهج حياة.

إن تجديد الخطاب الدينى ليس المقصود به تغيير معالم الدين، وليست الدعوة إليه موجهة إلى الإسلام الذى هو دين الله تعالى، إنما هى دعوة إلى أصحاب

العقول خاصة الدعاة الذين يدعون إلى الدين، إلى مراجعة أنفسهم فى مدى فهمهم لكتاب الله تعالى واستمساكهم بشرع الله وترتيب الأولويات مما يجب عليه فعله وما يجب أن يبدأ به، وهذه المراجعة إنما تعنى إعادة ترتيب عقل الداعية الذى بدوره يجدد للأمة دينها، ويبعث فيها روح الإخلاص لله والعمل لسنة رسول الله ﷺ، فالتجديد موجه إلى فكر المسلمين وسلوكهم، لأمر الدين وليس إلى الدين نفسه، فالمسلمون بحاجة إلى التجديد فى كل ميدان، ومن رحمة الله تعالى أن يبعث مجدداً على رأس كل مائة سنة.

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [أخرجه أبو داود فى السنن والحاكم فى المستدرک].

فتجديد الخطاب الدينى لا يعنى تغيير أدلة الشريعة أو العيث بأحكامها، لكنه يعنى إنزال الحكم المناسب على الفعل المستجد، فهو ضرورة شرعية لا غنى عنها لإعمال ما اختصت به الشريعة من عموم وخلود، وصلاحيية لحكم التصرفات المستجدة فى حياة الناس، والنوازل الحادثة وليست عملاً ترفيهاً أو شيئاً ثانوياً. وبدونه سوف ينعزل فقه الشريعة عن واقع الحياة، وهو مالا يرضاه الله ورسوله، فتجديد الخطاب الدينى يمثل الترجمة العملية ليسر الشريعة وعمومها وصلاحييتها لحكم تصرفات الناس فى كل زمان ومكان، وبدونه يصبح الإسلام محنطاً فى فترة زمنية وعاجزاً عن مسايرة الواقع، ولهذا فإنه يمثل ضرورة شرعية واجبة، وليس اختياراً إنسانياً أو توجيهاً أجنبياً، وبدونه سوف يُظلم الإسلام ظلماً بيناً ونقدم عنه صورة مختلفة تشيع أحقاد أعدائه، وتستثير سخريية خصومه وتحول بينه وبين واقع الحياة، ولهذا كان أمراً متعيناً، بل وواجباً شرعياً.

### تجديد الخطاب الدينى من منظور الثقافة العلمية:

يعد اتساع ثقافة الداعية عماد كل تجديد منشود، وكل داعية واسع الثقافة هو واسع الأفق يستطيع أن يكيف خطابه الدينى حسب طبيعة جمهوره

ورواد مسجده، ومشكلات بيئته ومجتمعه، وإذا لم يكن الداعية واسع الثقافة، فهو غير قابل للتجديد، وبالتالي لا يمكن معايشة واقعه، فيعزل عن الناس، وتحدث الفجوة بينه وبين الجمهور ويشعرون أن الداعية في واد وهم في واد آخر، فإن أهم ما يميز القائمين بأمانة الخطاب الديني في كل مكان وزمان هو مراعاة المقال لمقتضى الحال ومخاطبة الناس على قدر عقولهم بأسلوب يتميز بالمرونة واليسر والبساطة والتشكل بشكل الحياة المعاصرة ليواكب حركة التطور والتجديد.

فتجديد الفكر الديني وأسلوب عرضه ومحتواه بما يتلاءم مع القضايا المعاصرة في إطار تعاليم الإسلام، والاستفادة من العلوم الحديثة الطبيعية في التطوير الفكري للداعية ليكون داعياً عصرياً مجدداً وليس داعية تقليدياً جامداً يُتهم الإسلام من خلاله بالتخلف والضعف أمام قضايا العصر، ويميل منه مستمعوه لتكرار ما يقدم إليهم من موضوعات، وأسلوب عرض جامد ثابت، فذلك هو التجديد في الخطاب الديني المطلوب من الداعية القائم على التوازن بين الأصالة والمعاصرة، والموجه للفكر المعاصر بالفكر الإسلامي المتسع لكل المستجدات الحياتية.

إن نجاح الداعية في دعوته يتوقف على أن يجدد في خطابه وينوع في أسلوبه ووسائله، ويحسن اختيار موضوعه، وإلا أصبح مملاً لجمهور مسجده، فيجب على الداعية أن يجدد في خطابه بإضافة الجديد إلى علم المستمع، وهذا يقتضى منه القراءة المتواصلة ومراجعة الأهداف ومطالعة النشرات والدوريات والمجلات المتاحة.

### ضرورة تجديد الخطاب الديني وآدابه ومنهجه:

يعد تجديد الخطاب الديني ضرورة حياتية واجتماعية ودينية في الوقت نفسه، أما إنه ضرورة حياتية فلأن الدين للحياة، والحياة متجددة، فلا بد أن يكون الخطاب الديني أيضاً متجدداً، وأما إنه ضرورة اجتماعية، فلأن الدين له تأثيره البالغ في المجتمع وفي تشكيل سلوك الناس أفراداً وجماعات.

فإذا أردنا أن تصل الرسالة الدينية إلى المجتمع لتؤدي الغرض المطلوب من أجل حماية المجتمع من كل أشكال التشدد والتطرف والإرهاب فلا مفر من تجديد الخطاب الديني.

- وأما إنه ضرورة دينية فذلك يأتي انطلاقاً من الحديث النبوي للنبي ﷺ : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [أبو داود] .
- الذى يعنى ضرورة مواكبة متغيرات كل عصر، وتطورات الحياة، ولتطوير وتجديد الخطاب الدينى آداب من الضرورى إتباعها منها:
- ١ - الأخذ بروح الشريعة الإسلامية، الاعتدال وعدم الغلو فى الدين.
  - ٢ - عدم بستر النصوص لخدمة توجه راجح أو هوى معين بل لايد من ذكر النص كاملاً، وعلاقته بالنصوص الأخرى ذات الصلة به.
  - ٣ - الاختيار للنصوص التى تخدم الدعوة الإسلامية، مراعيأ عاملى الزمان والمكان.
  - ٤ - الالتزام بالآداب الإسلامية عند تقديم الخطاب الدينى.
- وذلك يتطلب من القائمين على الخطاب الدينى تبني منهج لتطويره وانتقاء موضوعاته بدرجة مقبولة، هذا المنهج يقوم على ضوابط للاختيار السليم للمحتوى الخطابى بما يواكب متطلبات العصر، ويوافق فلسفة التجديد فى الخطاب الدينى ومن معايير الاختيار التى يمكن اتباعها أن يكون الاختيار على أساس:
- ١ - النصوص القرآنية، بإعجازاتها المستقبلية والعلمية وقضاياها الحياتية، زراعية، اجتماعية، اقتصادية إلى آخره.
  - ٢ - النصوص النبوية التى تخدم البيان القرآنى.
  - ٣ - الحقب الزمنية وما يرتبط بها من أحداث مشهودة دينية أو سياسية أو عسكرية إلى آخره.
  - ٤ - الأمكنة، وما يتعلق بها من قضايا وطنية أو دينية، ودلائل إلهية، ومنازل رفيعة وخدماتها الاجتماعية.
  - ٥ - الأحداث التاريخية دينية أو اجتماعية أو وطنية، وكذلك الأحداث الواقعة فى المجتمع.
  - ٦ - التراث الإسلامى، وما به من حكم ومواعظ، وما يتناوله من قضايا، سواء كان هذا التراث دينياً أم علمياً، ذلك بما يتميز به هذا التراث من القابلية:

- للتجديد.

- للتنقية.

- للعالمية.

٧ - المناسبات الدينية أو الوطنية التي تهم المجتمع.

٨ - بواعث الفكر الاستشراقي للإفادة منه بما يخدم الدين والرد على الشبهات والمشككين فيه.

٩ - التفسير الموضوعي للقرآن الكريم والسنة النبوية.

١٠ - السلاسل المتصلة بعرض قضية معينة على مراحل أو فترات زمنية متتابعة. إن هناك ضرورة لتطوير وتجديد الخطاب الدينى حيث إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان وعليها مواكبة المتغيرات الدولية الجديدة التي فرضت على الخطاب الدينى وأن يجدد نفسه على اعتبار أنه أقوى أنواع الخطابات التي تؤثر في تحريك الجماهير لكي تسهم في دفع مسيرة المجتمع الإسلامى نحو النمو والتقدم واكتساب القدرة على التغيرات المستجدة والتعامل معها وفق ما تتطلبه من كفاءة وإتقان.

إن الحاجة لتطوير وتجديد الخطاب الدينى إنما تكمن وراء العديد من الأسباب أهمها:

١ - إعداد الفرد المسلم ليكون مشاركاً ومؤثراً في مجتمعه وعالمه بطريقة إيجابية فى ضوء أولويات المجتمع.

٢ - الإسهام الفاعل فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب والمجتمعات غير الإسلامية.

٣ - ضعف أهلية وقدرة الخطاب الدينى على مسايرة الاتجاهات العالمية بفكر متجدد يبرز عالمية الإسلام.

٤ - تجنب وتفادى الضعف القائم على أساليب الدعوة الحديثة من حيث عدم القدرة على توظيفها بعناية فى خدمة الدعوة الإسلامية.

من هنا كان التطوير والتجديد فى الخطاب الدينى أمراً ضرورياً من أجل التأكيد على أهمية القضايا المجتمعية وكيفية تناولها بما يبرز الوجه الحضارى للإسلام والمسلمين وظهور وقائع ومتغيرات حديثة لم يتناولها الخطاب الدينى الموروث بصورة مباشرة ومواكبة ما يسمى بحوار الحضارات ومواجهة ما يسمى بصراع الحضارات، وحاجة المجتمع المعاصر للاجتهاد فى القضايا المعاصرة، والمتواكب مع متطلبات العولمة، التى تقتضى تصحيح الفهم الخطأ وغير الصحيح عن الإسلام والمسلمين لدى الغرب والدول غير الإسلامية وتغيير هذه الصورة السلبية الذهنية لديهم. لذلك ينبغى أن يأتى الخطاب الدينى شتملاً فى مضمونه ومحتواه القضايا ذات الأهمية حالياً ومستقبلاً مثل:

- التركيز على القضايا المعاصرة ومعالجتها.
  - إبراز الدور الحضارى للإسلام وفضله على الحضارة الغربية.
  - التركيز على التسامح الإسلامى مع أصحاب الديانات الأخرى.
  - تأكيد شمولية الدين الإسلامى للمعاملات والأمر الحياتية اليومية.
- وحتى يكون الخطاب الدينى فاعلاً فى تناول العديد من القضايا المستجدة المطلوبة لتطوير الخطاب الدينى، فمن المهم تطوير التكنولوجيات الحديثة وتسخيرها لخدمة الدعوة الإسلامية، فلا يبقى الخطاب الدينى دون الاستفادة من هذه التكنولوجيات فى مجال الاتصالات والمعلومات واستغلال وسائلها وأدواتها المختلفة حتى الإنترنت والأقمار الصناعية.

### عوامل فاعلية الخطاب الدينى:

تسهم العديد من العوامل فى جعل الخطاب الدينى فاعلاً بدرجة كبيرة بصفة- خاصة الخطاب الموجه إلى الآخر- بعض من هذه العوامل يتعلق بالقائم بالاتصال، وبعضها بالرسالة المقدمة عبر الخطاب، وبعضها بالوسيلة المقدم بها الخطاب الدينى، وبعض منها يتعلق بالجمهور المتلقى لهذا الخطاب، ويمكن إجمال بعض هذه العوامل فيما يلى:

- ١ - انتقاء واختيار العناصر المؤهلة فى مجال الدعوة والإعلام الإسلامى.
- ٢ - انشغال الخطاب الدينى بتقويم السلوك العملى فى حياة المسلمين.
- ٣ - مراعاة الخطاب الدينى لطبيعة وتفكير ولغة المستقبل من الجمهور.
- ٤ - الإعداد اللغوى والثقافى للقائم بتقديم الخطاب الدينى.
- ٥ - استعانة الخطاب الدينى بالتقنيات الحديثة.
- ٦ - انتاج خطاب دينى يعى المستجدات العلمية والتكنولوجية التى تعد نتاجاً مباشراً للعولمة.

لكن حتى يمكن زيادة فاعلية الخطاب الدينى بالدرجة المأمولة فى ظل المتغيرات المعاصرة، علينا:

- (أ) تفعيل أساليب وأشكال تقديم الخطاب الدينى بالشكل الذى يناسب الجمهور ويتواءم مع مستحدثات العصر، فىكون هناك الاتصال عن طريق الدعاة بصورة مباشرة فردياً أو جماعياً، واتصال من الوسائل المسموعة والمرئية كشبكة المعلومات الدولية والقنوات التلفازية أو الفضائية، واتصال عبر الوسائل المطبوعة كالصحف والكتب، واتصال من خلال المؤسسات الإسلامية الأهلية والحكومية من خلال الزيارات والندوات بمعنى أن يستفيد الخطاب الدينى بشتى الوسائل الإعلامية التقليدية والحديثة لنشر قيم الإسلام ومبادئه خاصة بين الآخرين.
- (ب) توفير كافة المتطلبات اللازمة لتطوير الخطاب الدينى وزيادة فاعليته وإسهاماته فى خدمة قضايا الأمة، وإزالة كافة العقبات والعوائق التى تحد من فاعلية الخطاب الدينى المعاصر التى منها:

- ضعف وعى الدعاة بالقضايا العصرية ومعالجتها إسلامياً ودينياً.
- قصور إحاطة الدعاة بالتقنيات الحديثة فى معالجة الإعلام الإسلامى.
- ضعف المسلمين فى مجالات متعددة ينعكس آثاره على الخطاب الدينى.
- عدم تناسب لغة الخطاب الدينى مع لغة وميول واتجاهات الجمهور المستهدف.

- اتباع الخطاب الدينى لأساليب نمطية تقليدية لا تساعد على إقناع الجمهور  
بمضمون ومحتوى الخطاب، حيث إنهم لا يحسنون عرض ما لدى المسلمين من  
ثروة علمية ومعرفية.

لذلك فنن المهم إزاء ذلك تبني توجهات جديدة من شأنها أن تسهم فى تفعيل  
الخطاب الدينى منها:

١ - إعادة تأهيل الدعاة بما يواكب المتغيرات العصرية فى العالم ويجعلهم فاعلين  
فى الدفاع عن الإسلام.

٢ - استمرارية تدريب الدعاة بالطرق المستحدثة فى مجال التدريب التى تواكب  
مستجدات العصر.

٣ - الاهتمام بالخطاب الدينى الموجه إلى الآخر وفق طبيعة هذه المجتمعات.

٤ - توحيد الفتاوى الشرعية المقدمة من خلال الخطاب الدينى.

٥ - ضرورة تبني خطاب دينى أكثر تسامحاً مع غير المسلمين.

٦ - تنمية الحس العام لدى الدعاة للوعى بالأحداث الجارية والقضايا المستحدثة  
لمعالجتها دينياً فى خدمة الدعوة والمجتمع.

وقد اهتمت إحدى الدراسات التى قدمت فى المؤتمر العلمى الأول لقسم الصحافة  
والإعلام بكلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر الشريف الذى يحمل عنوان  
«الخطاب الإسلامى فى وسائل الإعلام بين الثوابت الدينية والمتغيرات الدولية فى  
الفترة من ١٣-١٦ نوفمبر ٢٠٠٦م، بدراسة اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب  
الدينى، التى أكدت ضرورة تجديد الخطاب الدينى، وزيادة فاعليته لخدمة قضايا  
الأمة، وإزالة كافة المعوقات التى تحول من فاعلية تطوير الخطاب الدينى.

وأيضاً هناك دراسة قدمت لنفس المؤتمر بعنوان «اتجاهات الجمهور نحو الخطاب  
الدينى، دراسة ميدانية، على عينة من رواد الحرم المكى الشريف» وقد بلغ قوام  
العينة (١٣٢٩) مبحوثاً، وقد كان من أهم نتائجها ضرورة:

(أ) توسيع مجال الخطاب الدينى بحيث يضم لها موضوعات علمية متنوعة يقدم لها  
بالتوضيح من المنظور الإسلامى، وباستخدام وسائل العرض الحديثة من أمثلة ذلك  
قضايا الإيدز، والتدخين، والفلك، والنبات. بما يفسح المجال أمام العلوم التطبيقية

- للمساهمة فى التوعية الدينية فى إطار من التبسيط العلمى بحيث يستطيع الدعاة تناولها فى الخطاب الدينى فى ضوء تأكيد العلاقة بين العلم والدين.
- (ب) الاستعانة بالدعاة الأكفاء لخدمة مجال الدعوة الإسلامية، تكون لديهم القدرة على تطوير الخطاب الدينى وتبنى فلسفته الرامية إلى مواكبته للعصر وقضاياها.
- (ج) الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة لعرض الخطاب الدينى على مدى واسع وعريض لجميع المسلمين وغير المسلمين، وتوظيفها بالطرق المناسبة لإفادة المستمعين أو الجمهور المستهدف دينياً.
- وفى دراسة ثالثة قُدمت لنفس المؤتمر بعنوان «اتجاهات طلاب الجامعات الفلسطينية نحو الخطاب الإسلامى فى وسائل الإعلام الفلسطينية، وكان من أبرز نتائجها التى استمدت من بحث اتجاهات عينة قوامها (٣٠٠) مبحوث:
- ١ - أن وسائل الإعلام الإسلامى ذات فاعلية فى تقديم الخطاب الدينى وفى مقدمتها التلفاز والمسجلات الصوتية والإذاعة، وشبكة المعلومات الدولية وغيرها، ذلك يرجع إلى:
- ☐ شموليتها فى تقديم الخطاب الدينى.
  - ☐ الموضوعية فى استخدام الخطاب الدينى.
  - ☐ المصداقية فى عرض الخطاب الدينى.
  - ☐ تنوع محتويات الخطاب الدينى المقدم خلالها.
  - ☐ توسيع المعلومات ومقدارها التى تقدم عبر الخطاب الدينى.
- ٢ - أن هناك ضرورة لتجديد الخطاب الدينى، باستخدام الأساليب المناسبة للتطوير والتجديد ومنها:
- ☐ الاهتمام بالتقنيات الحديثة.
  - ☐ معالجة القضايا العصرية من المنظور الإسلامى.
  - ☐ الرد الموضوعى والفورى على حملات العداة للدين الإسلامى.
- ٣ - وجود العديد من العوامل التى تسهم فى تطوير وتجديد الخطاب الدينى ومنها:

- تبنى استراتيجية إسلامية عربية موحدة وواضحة للخطاب الدينى.
  - الاهتمام بالقضايا المستحدثة واتباع الوسطية فى أسلوب الخطاب الدينى.
  - التعاون والتنسيق بين المؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية.
  - الاهتمام بمضمون الخطاب الدينى وزيادة مساحته فى وسائل الإعلام الإسلامى.
  - تطوير أساليب عرض الخطاب الدينى، والاستفادة من الكوادر الإعلامية المتخصصة فى مجال الإعلام الإسلامى.
  - تبنى خطاب دينى يلبي احتياجات المجتمع وقضاياه المختلفة ويتفق مع اهتمامات وميول أفرادِهِ ويواكب متطلبات العصر.
  - البعد التام وتجنب التطرف الدينى بشتى أساليبه والاعتدال والتوسط فى تناول القضايا.
  - الاهتمام بتطوير أشكال الاتصال المستخدمة عبر الخطاب الدينى، وتطوير أساليب تناول القضايا العصرية من خلالها.
- وهناك دراسة أجريت بعنوان «وسائل الإقناع والتأثير فى الخطاب الدينى» عام ٢٠٠٥م، قسمت الخطاب الدينى إلى قسمين أحدهما خاص بالمسلمين، والثانى خاص بغير المسلمين، وأهمية وسائل الإعلام الإسلامى فى تفعيل كلا النوعين من الخطاب الدينى.
- ودراسة أخرى أجريت عام ٢٠٠٥م، بعنوان «دور الخطاب الدينى بالصحف المصرية فى تلبية احتياجات الجمهور»، توصلت الدراسة إلى أن أهم الموضوعات التى يجب أن تقدم عبر الخطاب الدينى هى المعلومات ثم العبادات وأخيراً العقائد، وأن أهم مصادر الخطاب الدينى هم الدعاة المشهورون، ثم علماء الأزهر، ثم كبار الكتاب، وأن مصادر الخطاب الدينى عبر وسائل الإعلام هى إذاعة القرآن الكريم ثم الشرائط الدينية، وأخيراً الكتب الدينية.
- ويرتبط تجديد الخطاب الدينى بدرجة كبيرة بثقافة الداعية، فالتجديد يتطلب الإطلاع الواسع والبحث المستمر والقراءة الدائمة المتأنية فى أصول الدين وثوابته

والعلم والتكنولوجيا، فلا يكتفى الداعية بما درسه في مرحلة الإعداد، ولكن عليه مطالعة الجديد في كل المجالات الحياتية والعلوم المختلفة ويشارك في الندوات والمؤتمرات المتنوعة المجالات سواء كان مستمعاً أم متحدثاً، فعليه أن يكون مطلعاً على ما يدور حوله في العالم، ويسعى لتكوين الرأى المناسب حول كل ما يستجد بالبحث والقراءة والمشاورة مع أهل الاختصاص نحو القضية المستحدثة دون تجاهلها وتكوين رأى صحيح حولها.

وتعد الثقافة الواعية الشاملة المتنوعة لدى الداعية هي العنصر الأساسى فى التجديد، ولا يخفى أن قضايا كثيرة جدت على الساحة لم تكن موجودة من قبل هي فى حاجة إلى دراسة وبحث واجتهاد، وكل ذلك لن يكون من الخاملين القانعين بثقافة العامة أو قل القانعين بثقافة السذج البلهاء، فواجب الداعية أن يبحث فيما لديه من كتب، وأن يذهب إلى المكتبات العامة إن اقتضى الأمر، وأن يسأل غيره من أهل الاختصاص وأن يشارك قدر استطاعته زملاءه فى الندوات واللقاءات فيتعلم منها.

فمن المقومات والأركان الأساسية التى لا غنى عنها فى الخطاب الدينى، أن يكون مواكباً للأحداث، ومتأثراً بها، ومعلقاً عليها، ومؤيداً لما هو حق منها، ومؤثراً فيها، فيعلق على هذه القضايا والمشكلات بالأسلوب الحكيم ويعالجها بالطريق القويم.

كذلك فالخطاب الدينى المتجدد لا يمس العقائد والثوابت الدينية، لأن الفكر الإسلامى قائم على التجديد المستمر، والذى يجب أن يكون إما فى الأسلوب بالانتقال من أسلوب الترهيب إلى الترغيب فيجب أن يكون الخطاب الدينى ميسراً على الناس، وإما من ناحية المضمون، بمواكبة الدعوة الإسلامية العصر الذى نعيش فيه ومراعاة ظروف المجتمع ومتغيرات هذا العصر، وهذا يعنى أن المشاكل المجتمعية من الضرورى أن تأخذ مكانها الملائم فى الدعوة الإسلامية كقضية محو الأمية والإدمان والبيئة والسكان فالأساليب والمضامين يجب أن تتغير دون مساس بثوابت وأصول الدين.

## مقومات الداعية المجدد في خطابه الديني في ضوء الثقافة العلمية:

تطوير وتجديد الخطاب الديني وضرورته من جانب الدعاة الموكل إليهم تقديم هذا الخطاب بفكر متطور يواكب مقتضيات العصر ومتطلباته يستوعب كافة القضايا العلمية المستحدثة، يوظف المفاهيم العلمية ومهارات العلوم في خدمة الدعوة الإسلامية، وتربية أفراد المجتمع علمياً، ذلك كله يرتبط بداعية مجدد في خطابه الديني في إطار امتلاكه لعدد من المقومات والمواصفات الضرورية للتطوير، منها أن:

- ١ - ينوع في موضوعات خطابه الديني وأسلوب عرضها بصورة مستمرة.
  - ٢ - يتابع الأحداث الجارية والقضايا العلمية للإفادة منها في مجال الدعوة.
  - ٣ - يشاور أهل الاختصاص حول القضايا العصرية التي تتطلب رأياً دينياً حولها وقراراً بشأنها.
  - ٤ - يديم البحث والإطلاع والقراءة في كل المجالات العلمية والتخصصية والمشاركة في الندوات العلمية مختلفة المجالات والموضوعات.
  - ٥ - يتناول في خطابه الديني موضوعات المعاصرة بصورة متوازنة مع موضوعات الأصالة.
  - ٦ - يوظف العلاقة بين العلم والدين في خدمة الدعوة وتطوير الخطاب الديني.
  - ٧ - يستفيد من كل العلوم الحديثة في المجتمع لتوجيه خطابه الديني.
  - ٨ - يراجع دائماً فكره الديني ليلائم متطلبات العصر الحديث.
  - ٩ - يميل نحو تطوير وتجديد الخطاب الديني ليواكب قضايا العصر ويقنع بضرورة هذا التطوير بل وينفذ إجراءاته عملياً.
- فالخطاب الإسلامي عملي يراعى اختلاف الظروف والمكان، يجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين الارتباط بالأصل والاتصال بالعصر، يتناول كافة القضايا المعاصرة ويربطها بالعقيدة لكنه يتطلب أن يكون الداعية مصباح دجى، وإمام هدى، وحليف تقي قبل أن يكون خطيباً مفوهاً ومتحدثاً بارعاً.

## موجهات تطوير الخطاب الدينى فى ضوء الثقافة العلمية:

لذلك فمن الضرورى أن تكون هناك من الموجهات التى تكون ضروية ومتطلبية لتطوير وتجديد الخطاب الدينى فى ظل التطورات العلمية الحادثة فى المجتمع حالياً ومستقبلاً، ومن هذه الموجهات، ينبغى أن يكون الخطاب الدينى موجهاً نحو:

- ١ - التركيز على قضايا الأصالة والمعاصرة بتوازن مقبول.
  - ٢ - معالجة القضايا العلمية المستحدثة.
  - ٣ - تأكيد وإظهار الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية.
  - ٤ - تنمية الوعى الدينى والعلمى للمسلمين.
  - ٥ - إنماء العقلية الدينية وتكوين العقلية العلمية للدعاة وأفراد المجتمع.
  - ٦ - إبراز استيعاب الإسلام لكل متطلبات العصر العلمية.
  - ٧ - تأكيد الاهتمام بكل العلوم الحديثة فى ضوء ثقافة الإسلام.
  - ٨ - زيادة الاهتمام بتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، ودور العلماء العرب والمسلمين فى تقدم العلوم.
  - ٩ - بيان توظيف منجزات العلوم الطبيعية فى إطار القيم الإسلامية.
  - ١٠ - التوجيه الإسلامى للعلم والتكنولوجيا فى المجتمع.
  - ١١ - التوجه نحو تدعيم العلاقة بين العلم والدين.
  - ١٢ - المساهمة فى تحقيق التربية العلمية لأفراد المجتمع.
- وفى دراسة علمية أجريت لفحص مستويات تقدير الدعاة العاملين بوزارة الأوقاف لتطوير وتجديد الخطاب الدينى، لعينة بلغت (٢٠٠) داعية متنوعى المؤهلات الدراسية وسنوات الخبرة وفترات التدريب أثناء الخدمة، وقد كانت محاور التقدير المطلوب الكشف عنها (١٢) محورا دارت حول ما يلى:

- ١ - مدى الاستفادة من تطوير الخطاب الدينى.
- ٢ - دور تقديم تطوير الخطاب الدينى فى مجال الدعوة.
- ٣ - معالجة قضايا الدعوة.
- ٤ - تطوير فكر الداعية فى ضوء تطوير الخطاب الدينى.

- ٥ - سرعة تطوير فكر الداعية.
  - ٦ - ضرورة تطوير الخطاب الدينى.
  - ٧ - درجة تطوير الخطاب الدينى.
  - ٨ - مقدار درجة تطوير الخطاب الدينى.
  - ٩ - تطوير أداء الداعية بتطوير الخطاب الدينى.
  - ١٠ - الاستجابة نحو تطوير الخطاب الدينى.
  - ١١ - استجابة الدعاة نحو تطوير الخطاب الدينى.
  - ١٢ - تفهم الداعية لتطوير الخطاب الدينى.
- ولقد أظهر الدعاة تقديراً مرتفعاً لفاعلية تطوير الخطاب الدينى فى تنمية فكرهم ومستوى أدائهم وزيادة قدرتهم على معالجة القضايا الدعوية المتنوعة، والقضايا المجتمعية المستحدثة.
- ويظهر جدول (٣) مستويات تقدير الدعاة لفاعلية تطوير الخطاب الدينى.

مستوى التقدير	المحور (البعد)
كبير	مدى الاستفادة من تطوير الخطاب الدينى
إيجابى	دور تقديم تطوير الخطاب الدينى فى الدعوة
كلها	معالجة قضايا الدعوة
بدرجة أفضل	تطوير فكر الداعية
كبيرة	سرعة تطوير فكر الداعية
ضرورية	ضرورة تطوير الخطاب الدينى
كبيرة	درجة تطوير الخطاب الدينى
تزداد	مقدار درجة تطوير الخطاب الدينى
عظيم	تطوير أداء الداعية
قبول	الاستجابة نحو تطوير الخطاب الدينى

مستوى التقدير	المحور (البعد)
قبول كبير	استجابة الدعاة نحو تطوير الخطاب الدينى
تحسن الأداء	تفهم الداعية لتطوير الخطاب الدينى

هذا يدل بدرجة كبيرة على استيعاب الدعاة لفلسفة تطوير الخطاب الدينى ليوائم متطلبات الحياة المعاصرة، وارتفاع مستوى الدافعية الذاتية لديهم نحو تطوير الخطاب الدينى، وأدائهم فيه تمثياً مع قضايا المجتمع ومتطلباته وملائمته جمهور المستمعين، وهذا فى المقابل يتطلب مستوى مرتفعاً من الثقافة العلمية إلى جانب الثقافة الدينية فى تكامل وظيفى يظهر الترابط بين الثقافتين وإفادة كل منهما الداعية فى تحقيق التطوير الجوهرى الحقيقى فى الخطاب الدينى أسلوباً، وعرضاً، ومحتوى بما ينم عن داعية عصرى يواكب المستجدات الحياتية ويعالجها دينياً بفكر ووعى علمى ودينى يفيد أفراد المجتمع.

وبصفة عامة، فمن الضرورى العمل على زيادة التقارب والتعاون بين علماء الدين الإسلامى خاصة الدعاة منهم والعلماء المتخصصين فى العلوم الطبيعية بشتى مجالاتها، ذلك لأنهم مطالبون جميعاً بأن ينشغلوا بإعادة فحص شامل للثقافة الإسلامية لفهمها والتكامل معها، ويجب عليهم أن يؤمنوا أولاً بحقيقة العلاقة الأكيدة الوطيدة بين العلم والدين، وأن يعملوا كفريق واحد ينطلق فى تفكيره من مسلمة واضحة تقرر أن علوم الوحي لها مكانة متفوقة فى المجتمع الإسلامى وكل الإرشادات والتعاليم يجب أن تنبثق منها.

كذلك الإقرار فى نفس الوقت بأن التوجيه الإسلامى للعلوم الكونية الحديثة إنما يعنى ذلك المجهود الذى يستوعب هذه العلوم داخل هيكل إسلامى يهدف الإفادة منها لجنى أكبر مردود للمجتمع المسلم وأن على هؤلاء العلماء تبعاً تنوير المجتمع المسلم بأهمية العلم فى حياته وضرورة امتلاكه كقوة ثقافية ذات أثر كبير فى تفكير الناس وسلوكياتهم وأن عليهم أيضاً واجب الارتقاء بالذوق العلمى وبالثقافة العلمية فى المجتمع الإسلامى.

إضافة إلى ذلك العمل على إحياء التراث العلمى الإسلامى وتحقيقه بلغة العصر وأسلوبه ومصطلحاته بواسطة علماء متخصصين، للوقوف على مابه من نظريات وآراء علمية ذات قيمة معرفية ومنهجية فى تاريخ العلوم، ذلك من باب تأصيل المعرفة الإسلامية، والمفهوم الإسلامى للعلم الشامل، من خلال العمل على توصيف الواقع العلمى المعاصر واستيعابه بالكامل، ودراسته فى ضوء مخرجات إحياء التراث العلمى الإسلامى، الذى يبرز دور العلماء المسلمين فى تقديم العلوم الطبيعية ويبرهن بدرجة كبيرة على العلاقة الوثيقة بين العلم الطبيعى والدين والارتباط الكامل بينهما.

### المقومات السامية للخطاب الدينى:

إن الخطاب الدينى إنما يقصد به مجموعة المبادئ العامة التى تكون منهج التعامل مع سلوك الفرد والجماعة المسلمة طبقاً للقواعد الإسلامية الراسخة، ووسائل الإعلان عن هذا المنهج تتم من خلال الأسرة والمدرسة والكتاب والصحيفة والتلفاز، والمذيع والأحزاب السياسية والتجمعات العمالية والرياضية وغيرها من الوسائط الأخرى.

إن الخطاب الدينى هو أشرف خطاب يتبادلته الناس فيما بينهم، لأنه خطاب الرسل الكرام مع أقوامهم، ولأنه خطاب المصلحين مع غيرهم، ولأنه خطاب العقلاء الأخيار فيما بينهم، مدح الله تعالى الناطقين به بقوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ولكى يرقى الخطاب الدينى إلى مكانته السامية، ويؤدى مهمته الدعوية فى أفراد المجتمع، ويظهر آثاره العميقة فى النفوس، ومكانته الراسخة فى القلوب، ومنزلته التى تميز المشاعر، وتحرك العواطف نحو فعل الخير، فمن الضرورى أن يتوفر فيه عدة مقومات هى:

١ - أن يكون مستمداً من القرآن الكريم، ومستشهداً بهداياته وبتشريعاته وبأحكامه وآدابه، مشتقلاً على الفيض القرآنى الزاخر بكل ما يسعد الناس فى دنياهم وأخراهم.

(١) سورة الحج الآية ٢٤.

- ٢ - اشتماله على الأحاديث النبوية الشريفة، وما فيها من توجيهات قويمه، وأحكام جلييلة، وآداب رفيعة، وفضائل عظيمة، التي يؤدي الالتزام بها إلى السعادة في الدنيا والآخرة.
- ٣ - مراعاة الداعية فيه أحوال الناس، من السرور والنعم ويسوق لهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المطابقة لتلك الحالة، وإن نزلت بهم المصائب والمحن ركز حديثه على العلاج النافع والدواء السليم الذي يخفف من تلك المصائب أو إزالتها.
- ٤ - التأثر بالأحداث والقضايا والمشكلات المجتمعية للأمة، ويتناولها بالأسلوب الحكيم ويعالجها بالطريق القويم، بالأدلة المتنوعة من الشريعة الإسلامية.
- ٥ - أن يكون مبنياً على الصدق والإخبار بالحق بما لا تحوم حوله شبهة، ولا يقاربه ما يخالف الحقيقة، فيكون صادقاً في ألفاظه، ومقاصده، وتفسيره للأمور، وفي إخلاص من ينطق به، وفي شجاعته في أدائه بحكمة وموعظة حسنة.
- ٦ - أن يكون مبنياً على الحقائق الثابتة، وعلى الأدلة الناصحة وعلى الحجج والبراهين التي تخرس الأسنة الكاذبة الباطلة البعيدة عن الحق، ولا يعتمد على الخرافات أو الأقاويل التي لا أساس لها من النقل الصحيح أو العقل السليم.
- ٧ - أن يكون قائماً على الاعتدال والتوسط، معتدلاً في لفظه ومعناه ومادته، ومتوسطاً في عرضه ووقته، وعلى القائم والمتحدث به أن يكون ملتزماً بالاعتدال والتوسط في أدائه لأن شريعة الإسلام تقوم عليهما.
- ٨ - أن يراعى أحوال المخاطبين، فيخاطب المثقفين والذين عندهم قسط من العلم بخطاب يتناسب مع مستوى ثقافتهم وعلمهم، وأما غيرهم فلهم خطاب آخر يتناسب مع فهمهم للأمور، وتقبلهم لما يخاطبون به، واقتناعهم لما يقال لهم ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٩ - أن يتزود الدعاة القائمون به بجانب ثقافتهم الدينية الأصيلة الواسعة بألوان من العلوم الأخرى، وامتلاكهم أفضل أساليب الدعوة، والتحلى بالتواضع والالتزام الأسلوب المهذب، وكافة الصفات الحميدة.

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

## السمات الأساسية للخطاب الدينى المعاصر:

فى ظل التنامى الواضح فى إدراك القائمين بمهمة الدعوة الإسلامية بماهية الخطاب الدينى المجدد وفلسفته القائمة على تلبية احتياجات المجتمع والأمة الإسلامية من هذا الخطاب فى ظل العولمة والمتغيرات الدولية والثورات العلمية والتكنولوجية الهائلة التى تتطلب إعداد الأفراد دينياً لإكسابهم أخلاقيات التعامل والتعايش مع متطلبات عصر العولمة بإيجابياته وسلبياته وتدعيم استيعاب الإسلام لكل هذه المتغيرات.

ذلك يجعل الخطاب الدينى المعاصر متميزاً فى رسالته وأهدافه ومحتواه وطريقة عرضه وفلسفته، لذلك فإن هذا الخطاب يتسم بعدة سمات مهمة منها:

١ - الأصالة الدائمة، فى ربانية مصدره المستمد من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، تلك التى تدعم ثوابت الدين وأصوله وتؤكد الجوانب الإيمانية والروحية والأخلاقيات الإسلامية الرفيعة.

٢ - المعاصرة المتجددة، فى القضايا الجديدة التى قد يتعرض لها سواء كانت قضايا دينية تتعلق بجانب العبادات أم بجانب العوامل فتتطلب معالجة دينية قوية فى ضوء متطلبات العصر الذى نعيش فيه.

٣ - التوازن التام، فى هذا الخطاب المجدد بين قضايا الأصالة الدينية وقضايا المعاصرة الحياتية فلا يطغى جانب على الآخر وإنما يبرز ذلك الخطاب التوازن المقبول بين الأصالة والمعاصرة بما لا يخل بأحدهما على الآخر، فيكون الخطاب الدينى بذلك متجدداً.

٤ - المواكبة العصرية، ذلك لكافة القضايا المستحدثة والأحداث الجارية فى المجتمع، فيتفاعل معها بمباشرة دون إرجاء أو إهمال يخل باستيعاب الإسلام لتلك القضايا، بل يتناولها الخطاب الدينى بشكل يبرز الاستجابة الفورية، والمواكبة المباشرة السريعة لكل القضايا التى تهتم المجتمع المسلم.

٥ - عالمية الواجهة، بحيث يقدم لكل فئات المسلمين فى كافة دول العالم باللغة التى يألفونها ويستوعبون بها مضامين الخطاب الدينى والرسالة التى تكمن وراءه،

وقد يقدم أو يتاح لغير المسلمين الاطلاع عليه والاستفادة منه للتعرف الصحيح إلى الإسلام، والرد على ما يثار حوله من تشكيك.

٦ - التعارف والتعايش، اللذان يهدفان إلى تعميق جانب المشاركة من كل طوائف الشعب والوطن سعياً نحو تدعيم المواطنة والوحدة الوطنية، وانطلاقاً من وحدة الأصل الإنساني ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِيَّانَا خَلْقَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(١)</sup>.

٧ - التواصل والحوار مع الآخر، فهو خطاب ديني يدعو إلى الحوار بين الحضارات والتواصل بين المسلمين وغير المسلمين، ويدعم فكرة الحوار مع الأديان وقبول الآخر، والانفتاح على ثقافته والاستفادة منها على قدر الثقافة الإسلامية الأصيلة، وتنمية آفاق التواصل مع كل الحضارات في إطار الإيمان بالتعددية الحضارية الثقافية ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>(٢)</sup>.

٨ - التكامل والوظيفية، بين كل العلوم المختلفة مع العلوم الدينية في إطار من الاستفادة المتبادلة بينها لتطوير محتواه، وعرضه بالشكل الذي يشبع أفراد المجتمع ويناسبهم فيستفيد من العلوم الطبيعية والعلوم التكنولوجية وغيرها من أجل التطوير.

٩ - التوسط والاعتدال، بما يجعله بعيداً عن التشدد والتعصب فيعمق لدى أفراد المجتمع الوسطية في كل الأمور ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾<sup>(٣)</sup> بعيداً عن المغالاة والتطرف في إطار التوجيه النبوي (إن الدين يسر) [رواه البخاري].

١٠ - المشاركة والفاعلية، فهو خطاب ديني يدعو كافة طوائف الأمة دون النظر إلى الدين أو العقيدة وفي إطار التسامح والتعاون ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾<sup>(٤)</sup> بين كافة أفراد المجتمع الواحد، ذلك من أجل نهضة الأمة وتقدم الوطن.

١١ - الوضوح والتناسب، فهو خطاب ديني يتسم بالوضوح في عرض قضاياها مستمداً مادته من الأصول الإسلامية، وشتى العلوم الأخرى التي ترتبط بتلك القضايا،

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٨.

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٤) سورة المائدة الآية ٢.

فيأخذ من تلك القضايا العصرية الموقف الواضح بالأدلة والبراهين، إضافة لعرضها بطريقة تناسب جمهور المجتمع على كافة فئاته، وبالأسلوب الذي تفهمه عقولهم قال ﷺ (أمرنا نحن معشر الأنبياء أن ننزل الناس منازلهم وأن نخاطبهم على قدر عقولهم) [رواه مسلم] .

١٢ - التشاور والاستشارة، مع أهل الاختصاص خاصة في القضايا والموضوعات التي تتطلب الرجوع إلى المختصين في كافة المجالات العلمية والاقتصادية ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَسَأَوْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٢)</sup>، كل ذلك لعرض القضية الدعوية بطريقة متكاملة من كافة الجوانب المتعلقة بها، حتى تأتي معالجتها بصورة مرضية ومقنعة للآخرين ويتحقق الهدف منها.

كل هذه السمات من شأنها أن تجعل الخطاب الديني متجدداً متطوراً يلائم قضايا العصر ويحقق أهداف التنمية ويدعم وحدة الأمة ويعمق علاقاتها بالآخرين، ويظهر عالمية الإسلام واستيعابه لكل المستجدات العصرية. ولقد تناول «د. القس إكرام لعلي»<sup>(٣)</sup> قضية تجديد الخطاب الديني بالدراسة والتحليل، منطلقاً من دعوة السيد الرئيس/ حسنى مبارك، الدعاة إلى تجديد الخطاب الديني، موضحاً أنها ليست دعوة قاصرة على الخطاب الإسلامى فقط، لكنها تشمل دعاة كل الأديان، وأن الحاجة إلى هذا التجديد أصبحت ملحة في عصر العولمة الحالى عن أى عصر آخر، ولقد بين الآتى:

(أ) أن الخطاب الدينى فى مصر يعد من أقوى الخطابات المؤثرة فى تحريك الجماهير نحو القضايا المختلفة.

(ب) أن الخطاب الدينى قد اكتسب قوة غير عادية بصفة خاصة بعد الأحداث التى مرت بها مصر عام ١٩٦٧ م.

(ج) ليس المتطلب عزل الخطاب الدينى عن تناول القضايا المجتمعية المتنوعة.

(١) سورة النحل الآية ٤٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٣) انظر مرجع رقم (٢٦) .

(د) على الخطاب الدينى تناول كل القضايا وإعلان رأى وتوجه الدين بشأنها، بحيث يكون ضابطاً أخلاقياً لكل هذه القضايا.

(هـ) أن تجديد الخطاب الدينى قضية قديمة متجددة دائماً وزاد من حدتها والحاجة إليها عصر العولمة وسقوط الحدود بين الدول، والدعوة إلى حوار الحضارات، والحضارة الإنسانية الواحدة.

كما بيّن من خلال حوارهِ أن البعض يعتبر أن الخطاب الدينى بطبيعته غير قابل للتجديد، وأن هناك صعوبة فى ذلك لما يلى:

١ - لأن الخطاب الدينى بطبيعته يتحدث عن المطلقات، وهذه لا تجديد حولها، لأن الحدود واضحة والدلائل معلنة والمصطلحات لا لبس فيها، فكل من ليس فى جانب منها فهو فى الجانب الآخر كالخير المطلق والشر المطلق.

٢ - لأن الخطاب الدينى يتحدث عن المقدسات، مؤيدة بكلام الحق تبارك وتعالى المقدس، وأنه لا اجتهاد مع كلام الله تعالى الذى يقدمه الدعوة.

٣ - لأن الخطاب الدينى يركز على الذات والدعوة إلى الانتماء وتعليم المبادئ الأساسية للدين، وهذا كله من أساسياته، مما يجعل الخطاب بهذا الشكل متجاهلاً للأديان الأخرى، لكثرة حبه لدينه.

٤ - لأن الخطاب الدينى بطبيعته يرفض الحوار، لما له من اتجاه واحد من المتحدث إلى المتلقى، فالمخاطب يقدم تفسيره للنصوص إلى الآخر حسب وجهة نظره، فيجعل الآخر يعتقد أن ذلك اعتداء على المقدسات وتشويهها، حيث إن التفسير أتى من جانب واحد حسب اعتقاد الآخر.

٥ - لأن الخطاب الدينى يتضمن دعوة الآخرين المختلفين للانضمام إليه، فهو خطاب دعوة والعدول عن أفكارهم، والانتماء إليه ولأصحابه، فهو خطاب دفاعى يحاول الرد على الخطابات الدينية المطروحة على الساحة والمختلفة معه، وأيضاً هو خطاب هجومى، يقوم بعملية هجوم على هذه الخطابات، ولأنه خطاب إقناع ودعوة، فهو يستخدم كل أدوات الإقناع الممكنة فى سبيل تحقيق هدفه.

لذلك نجد هناك عدة نماذج للخطاب الدينى منها:

**الأول:** الخطاب الدينى التأثيرى، وتستخدم فيه المصطلحات التى تهيج النفوس ضد الفساد وأشكاله، ويغلب عليها الصوت المرتفع، الذى يستخدمه الخطيب لإحراج الناس للخروج وهم فى حالة ثورة ضد الفاسدين وغيرهم، فيرون كل من يركب سيارة فارمة فاسداً، وكل من يتبع ديناً آخر كافراً، ويتعاملون معه من هذا المنطلق.

**الثانى:** الخطاب الدينى الساخر، وفيه يقوم الخطاب بمناقشة عقائد الآخر، المختلف معه بطريقة ساخرة، يسفه فيه ما يؤمن به الآخر، فيؤثر فى الآخرين، ويجعلهم يحتقرون الآخر ويرفضونه.

**الثالث:** الخطاب الدينى المتهجم، وهو خطاب تهجمى تشاؤمى رافض لكل رأى مختلف أو رؤية مختلفة، ويشجع النفوس ضد أى مظهر للمدنية، وضد أى عقيدة مختلفة.

وكما وضح أن القائمين على الخطاب الدينى غير المتجدد، العائقين لمحاولات التجديد، يعتمدون فى منطقتهم على ما يلى:

١ - خوف الخطيب من تحرر أتباعه فى الفكر، الذى يلقى بهم فى دائرة الحوار مع النفس والآخرين بعد رفضهم.

٢ - الحصول على الجماهيرية، فى ضوء الهجوم على الآخر المختلف معه، مما يثير النفوس لدى الجماهير، وبالتالي يكتسب المتحدثون به الجماهيرية القائمة على الخطاب المتعصب الجامد، لرفض الجماهير الرأى الآخر المختلف لأنها غير قادرة على الحوار.

٣ - السلطة الخطابية، والأسلوب الخطابى، الذى يجعل الخطيب هو قوام التعليم الدينى والمستمع هو النتيجة، وهو بذلك يسلب الحق الإنسانى للمستمع فى أن يقدم رأيه وفكره، فالخطيب هو المسيطر والقائم بكل شىء للمستمع الذى عليه القبول دون الحوار والرأى الآخر.

إذاً كيف يصيح الخطاب الدينى متجدداً؟ ذلك يتم من خلال ثلاثة أبعاد رئيسية مهمة هى:

**البعد الأول:** ويتعلق بالجانب الإنساني، الذي يعتبر الإنسان كائناً في مرحلة الصيرورة، وأنه كائن غير مكتمل، مما يدعو ذلك لتطوير نفسه، فعلى الخطاب الدينى أن يعيد صنع الإنسان لتحويل الكينونة إلى صيرورة، فالخطاب الدينى يحتاج إلى أن يتفاعل مع مقومات العصر فى تقديم تفسير جديد للدين يتعامل مع صيرورة الإنسان وتغييره المستمر مع العالم المتغير، ويعترف ويتفق بذلك مع حقيقة الوجود الإنسانى المتسامى والمتجه دائماً إلى الأمام يبنى عالم المستقبل بحكمة، ويعتبر الماضى وسيلة لذلك.

**البعد الثانى:** يتعلق بإعادة تفسير مفهوم الحق، إننا لا نمتلك الحق ولكن الحقيقة أن الحق هو الذى يمتلكنا، ونحن نعبّر عما نفهمه من الحق، وإن ذلك لا يدعونا وحتى مع اعتقادنا بامتلاك الحق- أن نفرض ما نملكه على الآخرين لكن أن نقبل الآخر على المستوى الإنسانى، وألا نسلب حق الآخر فى ترديد نفس المفهوم وامتلاك الحق إذا كان ممكناً له ذلك.

**البعد الثالث:** ويتعلق بالجانب الاتصالى، بما يعنى تحويل الخطاب الدينى إلى حوار حقيقى، من أجل الوعى بالواقع الإنسانى، مما يجعل الإنسان يدخل فى حوار مع نفسه أولاً ثم مع اتباع دينه ثم مع العالم، وهذه العلاقة الحوارية هى التى تخدم الوعى، وتؤدى إلى الحرية وتغيير العالم.

ويقول صاحب الدراسة والتحليل والعرض، ما الذى جعل الرسول ﷺ أن يغير طبيعة الإنسان العربى ليتمكن الإسلام- بهذا التغيير فى أقل من قرن من الزمان- أن ينشر أويته على معظم العالم آنذاك، لقد تم هذا العمل بمنهج الخطاب الدينى الحوارى، فمنذ اللحظة الأولى التى ظهرت فيها دعوة الإسلام ركز القرآن الكريم على أن يجعل المسلمين يتفكرون فى الكون ويتدبرون واقعهم من أجل أنفسهم، أى إنه وجههم لبدء الجدل مع الكون والطبيعة والآخرين، ذلك ما ولد فى المسلم قناعته لتحرير نفسه من رق الجاهلية والانطلاق إلى تغيير العالم.

«أى تجديد تريدون؟!» ذلك عنوان التحقيق الصحفى الذى أوردته جريدة صوت الأزهر<sup>(١)</sup> حول موضوع وقضية تجديد الخطاب الدينى، وقد بين التحقيق

(١) العدد ٤٢١، السنة التاسعة، أكتوبر ٢٠٠٧ م.

أن علماء الإسلام اتفقوا على أن التجديد في الخطاب الدينى مطلب عصرى بشرط عدم المساس بقواعد وثوابت الشريعة الإسلامية.

وقد أكد علماء الإسلام ورجال الأزهر الشريف على الجوانب التالية فى تلك القضية كما ورد فى التحقيق :

أولاً: أن قضية تجديد الخطاب الدينى ليس بالأمر الجديد كما يتصوره البعض بل هو مصطلح إسلامى قديم مستمد من حديث الرسول الكريم ﷺ (إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها) [رواه أبو داود] .

ثانياً: أنه لكى يكون التجديد فى الخطاب الدينى للأفضل ويكون صحيحاً لابد أن يكون العلماء المجددون من العلم بأمور الدين والدنيا والكفاءة وعندهم العلم بالمتغيرات فى كل عصر حتى يستطيعوا التوفيق بين القديم والحديث.

ثالثاً: أن التجديد من الضرورى أن يشمل الشكل والمضمون وألا يمس القواعد والثوابت الخاصة بالشريعة الإسلامية أو يصطدم مع حكم ثابت بالكتاب الكريم والسنة النبوية.

رابعاً: إن التجديد فى الخطاب الدينى لا يعنى تغيير المفاهيم الفقهية، ويقوم على التعددية وقبول الرأى والرأى الآخر، وأن التجديد يتطلب تحديث المفاهيم، ويعد فرضاً دينياً فى الوقت الحالى.

خامساً: أن التجديد فى الخطاب الدينى يعنى تقديم الخطاب الدينى بما يتضمنه من أحكام شرعية بما يتناسب مع روح العصر، وليس المقصود به تبديد الخطاب الدينى، وإنما تجديد الشكل والمضمون دون المساس بثوابت الدين.

سادساً: أن التجديد فى الخطاب الدينى ضرورة عصرية يعالج القضايا العصرية بفكر عصرى متجدد.

وتوافقاً مع ذلك أكدت اللجنة الدينية بمجلس الشعب فى مناقشتها للمطلب الذى تقدم به عدد كبير من الأعضاء حول إمكانية تجديد وتوحيد الخطاب الدينى، أن التجديد الدينى ضرورى ومطلوب دون المساس بثوابت الدين الإسلامى، وأن يكون تجديد الخطاب الدينى، تجديداً للوسائل والأدوات فقط وليس تجديداً

للفكر الدينى نفسه ، وإحياء علوم الدين بتجديد الوسيلة والأداء وليس تحديث الفكر والمبدأ لأن الدين الإسلامى لا يتطور ولا يتغير<sup>(١)</sup>.

فالخطاب الدينى المعاصر الذى يواكب قضايا العصر ومستجداته من الممكن أن يخدم القضايا العلمية المستحدثة ويدعمها لدى أفراد المجتمع ، ويكسب هؤلاء الأفراد الوعى بقيمة التوظيف العملى لكل تطور علمى يمكن أن يفيد المجتمع والأمة مهما كانت طبيعة هذا التطور أو حتمية الأخذ بنفعية التوظيف السليم لكل مخرجات العلم النافع فى إطار حديث النبى ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) [رواه البخارى ومسلم] .

إن الدعاة يمكنهم أن يؤدوا دوراً مهماً فى إبراز تلك القضايا العلمية وتوضيح مدى ضرورة وأهمية الأخذ بها لدى أفراد المجتمع وذلك كما يلى :

( أ ) بيان قيمة العلم النافع لخدمة المجتمع من المنظور الإسلامى .

(ب) حث كل أفراد المجتمع للتعاون من أجل التوظيف الناجح للعلم النافع .

(ج) تقدير قدر العلماء ودورهم فى خدمة المجتمع ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> .

(د) تقدير الحاكم أو رئيس الدولة وتعظيم قدره ودوره فى نهضة المجتمع بما يقدمه من قرارات حكيمة فيما يتعلق بالاستفادة من العلم فى خدمة الأمة .

وحيثما يدرك الدعاة ذلك فإن الخطاب الدينى سوف يكون فاعلاً بالقدر والدرجة التى تتمشى مع قضايا العصر فلا يبدو وكأنه منفصلاً عنها ، وأيضاً حينما يدركون أن الأمة تدخل عصراً جديداً من عصور التقدم العلمى يرتقى بها فى ظل وجود صفوة من العلماء المتميزين الذين يمكنهم الخطو بثبات نحو دخول العصر العلمى الذى يتسارع العالم كله للإفادة منه بل وريادته ، ونحن لدينا المقومات لذلك ، من العلماء والمناخ والقيادة الحكيمة التى تضع الأولويات لخدمة المجتمع ، فحين يدرك الدعاة ذلك سوف تكون رسالة الخطاب الدينى فاعلة تسهم فى تقدم المجتمع قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) جريدة أخبار اليوم ، العدد ١٦٨٨١ ، السنة ٥٤ ، ٣٠ / ٩ / ٢٠٠٦ م .

(٢) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٣) سورة الرعد الآية ١١ .

ولدينا مثال حتى على ذلك.. فحين يصدر رئيس الدولة قراراً بدخول مصر العصرى النووى من أجل الاستخدام السلمى للطاقة النووية فمن الضرورى أن يحتل قرار مثل هذا منابر الإعلام الدينى قال ﷺ (أنتم أعلم بشئون دنياكم) [رواه مسلم] ، ليلقى التأييد العام من فئات المجتمع ويدرك أعضاؤه القيمة العلمية والاقتصادية لذلك القرار ويكسب أفراد المجتمع مزيداً من التقدير للقيادة الحكيمة لمصرنا المحروسة.

هذا ما فعله علماء الأزهر الشريف الذين يثبتون يوماً بعد يوم ريادة الأزهر الشريف فى تجديد الخطاب الدينى جنباً لجنب مع وزارة الأوقاف، فقد أكدوا أن قرار الرئيس مبارك بدخول مصر عصر الطاقة النووية السلمية قرار حكيم، وأن فيه منفعة اقتصادية كبيرة لمصر، وأن الدين الإسلامى أمر المسلمين بالأخذ بأسباب العلم النافع الذى يساعد الأمة على التقدم والرقى مادام هذا العلم ينفع ولا يضر<sup>(١)</sup>.

إن ذلك إنما يعد تعبيراً عن ملاحقة الخطاب الدينى للأحداث الجارية والقضايا المستحدثة مما يجعله خطاباً عصرياً، لكن يتطلب المتابعة المستمرة للدعاة لهذه الأحداث والقضايا والإعداد الجيد لكيفية معالجتها وتناولها عبر الخطاب الدينى بما يناسب جمهور المجتمع، وبما يخدم قضايا الأمة، وتلك هى إحدى مهام الإعلام الدينى بوسائطه المتعددة، وعلمائه ودعاته الذين لديهم الثقافة العامة التى تمكنهم من تناول ومعالجة القضايا المعاصرة من المنظور الإسلامى.

ولا يغيب عن أحد أو يخفى عليهم أن هناك العديد من القضايا المعاصرة والأحداث الجارية التى تهم الوطن ويغفل الدعاة عنها ولا يلقون لها بالاً، ولا تأخذ نصيباً وحظاً وافراً من الخطاب الدينى المعاصر، وذلك قد يكون راجعاً إلى عدة أمور منها:

(أ) عدم توفر الثقافة الكافية حول الحدث أو القضية.

(ب) رضاء الداعية فى خطابه الدينى بقضايا الأصالة دون غيرها.

(ج) عدم إدراك ووعى الداعية لفلسفة تطوير وتجديد الخطاب الدينى.

(١) جريدة صوت الأزهر، العدد ٤٢٤، السنة التاسعة، ٩/١١/٢٠٠٧ م

(د) طبيعة جمهور المجتمع فقد لا تقبل التغيير فى قضايا الخطاب الدينى أو لا تقنع به بدرجة كافية.

(هـ) ضعف قدرة الدعاة على المعالجة الدعوية السليمة لقضايا المعاصرة فى الخطاب الدينى.

وليس أدل على ذلك من القرار التاريخى الذى صدر بدخول مصر العصر النووى ولم يتناوله معظم الدعاة فى خطابهم الدينى بالشكل اللائق بهذا القرار من منظور إسلامى يظهر الحاجة إلى العلم النافع والاستفادة منه فى خدمة الأمة الإسلامية، لذلك وجب على المؤسسة الدعوية المنوط بها تكثيف المتابعة الفنية للدعاة بتبصيرهم بأن يكون لديهم الحس الدينى والوطنى الذى يبرز القضايا الوطنية المختلفة فى محتوى الخطاب الدينى حتى يكون مواكباً للعصر، وكما كنت أنتظر أن يقدم لنا الدعاة خطاباً دينياً حول ذلك تحت مسمى «العلم الحديث وخدمة قضايا الأمة من منظور الإسلامى» أو تحت مسمى «الإفادة من العلم الحديث ضرورة دينية» لتكون تلك معالجة دينية معاصرة للقضايا المستحدثة.

ولأهمية القضية التى نحن بصددنا والمتعلقة بتطوير وتجديد الخطاب الدينى، فقد عقدت بمكة المكرمة المؤتمر الثامن لرابطة العالم الإسلام بعنوان<sup>(١)</sup> (الخطاب الإسلامى وإشكاليات العصر)<sup>(٢)</sup> فى الفترة من ١٥ - ١٧ ديسمبر ٢٠٠٧ م، الذى دار حول ثلاثة محاور هى:

(أ) الخطاب وأهميته، ويتناول الخطاب وحاجة الإنسان إليه، دوافعه، أنواعه، أحواله، أهدافه، الخطاب الإنسانى بين الصلاح والفساد، والخطاب قبل الإسلام «دوافعه، أنواعه، أهدافه».

(ب) الخطاب الإسلامى، «التعريف»، الأسس والمقومات، الأسباب، الوسائل والمنطلقات، الخصائص، الأهداف والمقاصد، الخطاب الإسلامى بين الثوابت والمتغيرات، الثوابت، «حقيقة الإلهية»، عصمة النبوة، طهارة الصحابة، الضرورات الخمس، المتغيرات «وهى كل سالم يرد فيه نص قاطع من الكتاب

(١) جريدة صوت الأزهر. العدد ٤٢٦، السنة التاسعة، ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٧ م.

(٢) جريدة الأهرام، العدد ٤٤١٨٣، السنة ١٣٢، ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٧ م.

والسنة» ، الخطاب الإسلامى بين التأويل الصحيح والفاقد لنصوص الوحى ،  
 التأويل الصحيح.. منطلقاته، خصائصه، مقاصده، التأويل الفاسد «أسبابه ،  
 مرتكزاته، وسائله، أهدافه، الخطاب الإسلامى بين الواقع والمأمول؟ الواقع ،  
 الهامشية ، الضعف، النظرة الضيقة، ضعف الشمولية، ضعف التناول، جمود  
 الآليات، ضعف الأخذ بمستجدات العصر المتطورة، ضعف جذب الآخر» ، تجديد  
 الآليات والوسائل، القوة فى الطرح، شمولية النظرة، معرفة الآخر، الإقناع فى  
 التناول والطرح، معرفة عوامل الزمان والمكان، الولاء لله ورسوله ﷺ مخاطبة  
 كل قوم بما يعرفون، الأخذ بوسائل التقنية ومستجدات العصر المناسبة.  
 (ج) أهم المشكلات والعوائق التى تواجه الخطاب الإسلامى، التشنج، الاسترخاء،  
 التهميج، العوثة، قنوات فضائية مخالفة، الغلو، التطرف، تسويق الشبهات  
 والشبهوات، مستجدات العصر، المخالفة، أحقاد وضغائن، موقف الآخرين من  
 الخطاب الإسلامى، الأسباب والعلاج.

